

الفلسفة واللغة
للدكتور همام النويهي
مدرس بقسم الفلسفة

تعد علوم اللغة من أكثر مجالات الدراسات الانسانية نشاطا خلال الثلث الأخير من هذا القرن . كما تزايد الاهتمام من جانب العلوم الأخرى باللغة وارتباطاتها بالمجالات النظرية أو التطبيقية المختلفة . ولاغربة في أن تكون الفلسفة أكثر المجالات اهتماما وارتباطا باللغة على اعتبار أن اللغة هي الأداة الرئيسية للفلسفة .

وقد يكون من أهم السمات المميزة للفكر الفلسفي المعاصر هو اعتبار الفلسفة ان هي الا بحثا في اللغة . فقد رأى الفلاسفة الانجليز - وخاصة من يطلق عليهم فلاسفة اكسفورد - ان الفلسفة يجب أن تهتم بالطريقة التي تتحدث بها عن العالم وليس بوصف وتفسير العالم . وبذلك تكون الفلسفة حديثا عن حديث .

ولقد استمد هذا التصور للفلسفة من مصادر عديدة ، أهمها : الوضعية المنطقية ، آراء جورج مور Moore ، وآراء فجنشتين Wittgenstein ، الا أن كل منها له تأشيرته المختلف عن الآخر .

فلقد اهتمت الوضعية المنطقية بلغة العلم على وجه الخصوص . وأوضح كارناب Carnap - وهو من أهم ممثلي الوضعية المنطقية - أنه يجب أن يستبدل منطق العلم (أي التحليل المنطقي لتصورات وجمل العلم ، بالفلسفة " (1) . ورأى أصحاب الوضعية المنطقية أن مهمة الفيلسوف هي شرح الحدود الخاصة بالمناهج العلمية والتصورات العلمية التي مثل " القابلية للاختبار " testability ، "التأكيد " confirmation ، "والاحتماليه " Probability ... الخ . كما حاول أصحاب الوضعية المنطقية توضيح البناءات الخاصة بالنظريات العلمية ، واطهار

(1) Carnap, R., Philosophy of Logical syntax, from . The Age of Analysis, ed. by White, m., new york, 1957, p. 223.

العلاقات الحورية التي تربط بين حدودها • وبذلك تكون الفلسفة - لديهم - أن هـى الا
فلسفة علم •

ولم يكن تأثير جورج مور تأثيرا مباشرا فهو يعتبر أن التحليل هو
أحد مهام الفلسفة وليس هو المهمة الوحيدة • كما اعتبر أن التحليل ليس تحليلا للغة بسـل
تحليل للفكره أو التصور أو القضية (١) • لكن بالطبع كى نقوم بالتحليل علينا - كما يقول
مور - استخدام التسميات اللفظية •

ومع ذلك فإن اعتبار الفلسفة بحثا فى اللغة كان نتيجة لدفاع مور عن الحس المشترك •
فهو يعتقد أن رأى الحس المشترك عن العالم هو الرأى الصحيح • ومن ثم ليس بمستطاع الفيلسوف
أن يوضح كذب قضايا الحس المشترك بواسطة أى برهان فلسفى لأن رأى الحس المشترك عن العالم
يتضمن تبريرا لذاته •

فيمتنع مور وجود الاشياء المادية من واقعة معرفته بأن له يدان، وهو معيار ذاتى (٢) •

وهو يرى أن هذا المعيار الذاتى يمكن أن ينطبق كذلك على فروض العلم والقضايا المورية
للرياضة والمنطق • كما أنه - طبقا لهذا الرأى - لا يوجد أسس فلسفية للاحكام المعيارية
لأن أحكام القيمة ذاتية (٣) وبذلك لن يكون من مهام الفلاسفة تقرير صحة هذه الانواع من القضايا
طالما أنها تتضمن معايير ذاتية • ولن يتبقى للفيلسوف سوى أن يشتغل بتحليل هذه القضايا
لتوضيح معناها وليس لتقرير صحتها • وبذلك لن تكون الفلسفة الا تحليلا للغة •

أما فتجنشتين فقد تناول الكلمات باعتبارها أدوات وليس باعتبارها صورا •
فالعلاقات اللغوية وان كانت ذات معنى الا انه لا وجود لكائنات مستقلة

Moore, G., A Reply to my Critics, Analysis, p. 280 (١)
Malcolm, More and Ordinary language, from. The linguistic Turn, ed. by
by Marty, R., The Univ. of Chicago Press, 1967, p. 111 (٢)
Ayer, A., Philosophy and language, Oxford, 1960, p. 5 (٣)

يمكن اعتبارها معاني . لذلك علينا أن نكتفى بالتساؤل عن كيفية استخدام الكلمة ⁽¹⁾ . وبذلك يتحول التساؤل عن المعنى الى تساؤل عن استخدام اللغة ⁽²⁾ . ومن هنا انتهى فتجنشتين الى أن المعنى ليس شيئا وراء سلوكنا اللغوي ، بل هو عملية سلوك لنفوي ، واذن فالمعنى هو الاستعمال ونظرية فتجنشتين في المعنى هي التي نماها فلاسفة أكسفورد ⁽³⁾ .

والواقع اننا نجد هذا الاهتمام باللغة قديما قدم الفلاسفة نفسها . ولم يكن ازدهار البحوث اللغوية في الفلسفة متولدا من فراغ بل أنه نتيجة لبذور نمت في الفروع المختلفة للفلسفة من ميتافيزيقا ومنطق ونظرية معرفة . واهتمامات المدارس الحديثة والمعاصرة هي التي أزكت البحث في اللغة .

كما علينا ملاحظة أن الفلاسفة لا يولون اللغة اهتماما من أجل دراسة علوم اللغويات كقسه اللغة والنحو والصرف وغيرها . فالفلاسفة يتناولون اللغة من منظور مختلف عن المنظور الذي يتناولها به عالم اللغويات . لذلك يجب أن تكون على وعى بهذا الاختلاف لأنه كثيرا ما يحدث خلط بين " اللغويات " و " الفلسفة اللغوية " و " فلسفة علم اللغة " . فنجد أن البعض يتناول الموضوعات الخاصة بكل من " الفلسفة اللغوية " و " اللغويات " باعتبارها " فلسفة اللغة " . وهناك أيضا من يعتبر أن " الفلسفة اللغوية " ان هي الا " فلسفة اللغة " . لذلك وجدنا أنه من الأهمية بمكان توضيح الفارق بين كل من هذه المصطلحات باعتبار أن تحديد معاني ومفاهيم مصطلحات أي علم من العلوم هي نقطة البدء الأساسية عند دراسته .

ومن ثم فإن الهدف الأساسي من هذا البحث هو توضيح المفاهيم الخاصة بكل من " اللغويات " ، " فلسفة اللغة " ، و " الفلسفة اللغوية " . وسوف نقدم لذلك بإشارات موجزة الى كل من الميتافيزيقا والمنطق ونظرية المعرفة من أجل إظهار الارتباط القديم بين الفلسفة واللغة وذلك كما يلي :

(1) المرجع السابق ، نفس الموضوع .

(2) المرجع السابق ، ص ٨ .

(3) د . عبد الرحمن بدوي ، مدخل جديد الى الفلسفة ، بيروت ، طبعة أولى ، ١٩٧٥ ، ص ٢٢٩ .

الميتافيزيقا :

أهم ما تتميز به الميتافيزيقا هي كونها بحثا في الحقيقة العامة . يحاول الفيلسوف ، في النظريات الميتافيزيقية ، إيضاح المقولات الرئيسية التي تنتمي لها الكائنات مع وصف العلاقات القائمة بين هذه الكائنات ، ولقد حاول البعض من الفلاسفة التوصل الى الحقائق العامة أو الكلية عن طريق اللغة المستخدمة في التحدث عن العالم . فمثلا نجد أفلاطون يقول في " الجمهورية " : إذا ما كان هناك اسما كليا ينطبق على عدد من الأفراد ، فأننا نفترض كذلك وجود فكرة أو صورة لهؤلاء الأفراد مطابقة لهذا الاسم .

ويريد أفلاطون بهذه العبارة أن يوضح أن الاسم الكلي انما ينطبق بنفس المعنى على عدد من الأشياء الفردية . ويكون هذا ممكنا - في رأي أفلاطون - إذا ما كان يوجد كائن واحد عام يسمى بالاسم الكلي والذي يشاركه فيه كل فرد من الأفراد الذين يجمعهم هذا الاسم الكلي (١) .

وبذلك يضع أفلاطون شرطا أساسيا وهو وجود كائن كلي مطابق للاسم الكلي كي يمكن أن يطلق هذا الاسم الكلي على الأشياء الفردية التي تكون مشتركة مع الكائن العام أو الكلي في صفاته .

ومن ثم يمكن القول أن نظرية أفلاطون في عالم الحثل قائمة بمفحة أساسية على اللغة لأن وجود الاسم الكلي دليلا على وجود الكائن العام في عالم المثل .

المنطق :

مما لا شك فيه أن هناك صلة وثيقة بين المنطق واللغة . فاللغة تعدر عن الفكر ، وبواسطة اللغة يتحقق الفكر وبدون اللغة يظل الفكر سرايا لأثر له (٢) .

(١) Alston, W.P., Philosophy of language, Prentice Hall, Inc., 1964, p.1

(٢) د. نازلي اسماعيل ، المنطق الصوري ، المركز العلمي للتصوير ، ١٩٨٠ ، ص ٧

وتتألف اللغة من شقين أولهما الألفاظ ، وثانيهما التركيب اللغوي . أما التركيب اللغوي فإنه يخضع لقواعد لغوية معينة وهي المعروفة باسم النحو . ولما كان المنطق أيضا يضع القواعد التي بواسطتها يكون التفكير صحيحا ، فقد يبدو الأمر وكأن طبيعة كل من المنطق والنحو واحدة ، وهي أن كليهما يضع القواعد العامة للتفكير الصحيح (١) .

وقد ذكر التوحيدى على لسان أستاذه السجستاني أوجه الاتفاق والاختلاف بين العلمين بقوله " النحو منطق عقلى والمنطق نحو عقلى" (٢) . ولعل المقصود بذلك أن النحو - مثل المنطق - يضع شروطا عامة ، إلا أن هذه الشروط تختص ببلغة بعينها . والمنطق - مثل النحو - يضع شروطا عامة ألا أنها لا تختص ببلغة بعينها بل تختص بالعقل الانسانى بغض النظر عن اللغة المستخدمة .

ونظرا لأهمية اللغة بالنسبة للمنطق فإننا نجد معظم المناطقة يقدمون لنظريتهم المنطقية بدراسة للغة . فلقد بحث أرسطو فى الأسماء والقضايا قبل تقديم نظريته فى القياس . كما أن فلاسفة الاسلام مثل الغزالي وابن سينا والفارابى قد قدموا لمباحثهم المنطقية ببحوث فى اللغة .

ويرى عالم المنطق الانجليزى جون ستيوارت ميا، أنه من الضرورى يد، الدراسات المنطقية بتحليل للغة وذلك لما يلى من أسباب (٣) :

- أ) أن اللغة هى احدى الات الفكر ، ولابد أن يكون استخدام هذه الآله سليما .
- ب) اعتبر البحث فى اللغة فى كل الأزمان بداية ضرورية لدراسة المنطق .
- ج) لايمكن فحص القضايا دون فحص معنى الكلمات .
- د) لابد من الابتداء بفحص الأسماء حتى تكون مرشدا لنا عند تصنيف الأشياء .

(١) د . محمد صهران ، مدخل الى المنطق الصورى ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٢٥ ، ص ٢٨
(٢) التوحيدى ، المقابسات ، المكتبة التجارية ، ١٩٢٩ ، ص ١٦٩ وكذلك : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

Mill, J.S., A system of logic, Ratiocinative and Inductive, longmans (٣) 1959, p.p. 11 - 14 .

وبذلك يظهر الارتباط بين اللغة والمنطق ، وان دراسة اللغة هي المدخل لدراسة المنطق . وتعبر كل من نظرية فريجه Frege عن " المعنى والاشارة " ونظرية راسل Russell عن " الأوصاف " من أهم النظريات الممثلة للتحليل المنطقي للغة .

نظرية المعرفة :

تعتبر مشكلة المعرفة القبلية من أكثر موضوعات نظرية المعرفة ارتباطا بالبحث في اللغة . وتكون المعرفة قبلية عندما نحل اليها بدون التجربة وذلك مثل المعارف في العلوم الرياضية . وتقوم مشكلة المعرفة القبلية على مصدر اليقين بها . إذ كيف يمكن أن نعرف يقينا أن زوايا المثلث في هندسة اقليدس تساوي 180 درجة ، وأن " $7 + 8 = 15$ " وذلك بدون الملاحظات والتجارب الحسية (1) . وكيف يمكن أن نكون على يقين من عدم ظهور تجارب يمكن أن تفند هذه المعارف .

والا جابة عن مثل هذا النوع من التساؤلات هو أن هذا النوع من المعارف صادق نتيجة لمعاني الحدود المتضمنة فيه . أي أن صدق القضايا الرياضية مشروط أو متوقف على معاني أو تعريفات الحدود المكونة لها . والقضايا الرياضية هي قضايا تحليلية ، بمعنى أن " $15 = 7 + 8$ " هي جزء مما نعبه بالأعداد " 8 " ، " 7 " ، " 15 " . ومما نعبه أيضا بعلامة الجمع " + " ، وعلامة التساوي " = " . فإذا أردنا انكار القضية " $15 = 7 + 8$ " — يلزم تغيير معنى حه أو أكثر من الحدود المكونة لها .

وبذلك فان البحث في المعرفة القبلية سيؤدي حتما إلى تساؤلات عن معنى الحدود وعن كيفية الحكم على عبارة ما بانها صادقة على أساس أن حدودا بعينها له معنى بعينه (2) . أي أن البحث في المعرفة القبلية ان هو الا بحث في اللغة .

Alston, Philosophy of Language, p. 4

(1)

(2) المرجع السابق ، نفس الموضوع .

وبذلك نرى أن اهتمام الفلاسفة باللغة ليس اهتماما بها في ذاتها أي باعتبارها علما ، لكن طبيعة البحوث الفلسفية تؤدي الى البحث في اللغة باعتبارها اداة الفيلسوف للتعبير عن النظريات والآراء الفلسفية . ويتضح كذلك انه اذا كان اهتمام الفلاسفة بالبحث في اللغز لم يظهر كمبحث خاص منفرد الا مع بدايات القرن العشرين فان هذا الاهتمام لا يمثل طفره حديثه في الفلسفه بل هو ناشئ معها ، ومتشعب في فروعها المختلفة . ويجدر الاشارة الي أن هذا الاهتمام قد بلغ أقصى مداه مع أصحاب الفلسفه التحليلية المعاصرين الذين اعتبـروا أن المشاكل اللغوية ان هي الا مشاكل لغويه وعرفت فلغاتهم باسم " الفلسفه اللغويه " . والواقع - كما سبق وذكرنا - أن " الفلسفه اللغويه " تختلف عن " فلسفه اللغه " كما أنها ليست هي دراسة " اللغويات " ، ولذلك سوف نوضح مفهوم كل منها كما يلي :

١- اللغويات : Linguistics

لا تقتصر اللغويات على دراسة لغة بعينها انما تدرس اللغة بوصفها ظاهرة انسانية . وعلى ذلك تبحث اللغويات في جميع ظواهر الحديث الانساني سواء كان ذلك الحديث الخاص بالجماعات الدائرية أو الأمم المتحضرة ، أو ذلك الخاص بالأحقاب القديمة والكلاسيكية أو تلك الأحقاب المنحلة (١) . فعلى عالم اللغة أن يراعى في كل فترة من هذه الفترات ليس فقط الحديث الصحيح واللغة المسمعه ، بل عليه أن يأخذ في حياته أيضا جميع الصور الأخرى للتعبير . وطالما ان عالم اللغة لن يكون قادرا دائما على ملاحظة الحديث بطريقة مباشرة فإنه ينبغي عليه أن يدرس النصوص اللغوية المدونة لأنه من خلالها يمكنه أن يصل الى تراكيب وأساليب لغويته تبعده عنه في الزمان والمكان .

وعلى ذلك فان مجال اللغويات يجب أن يشتمل على (٢) :

أ) وصف وتجميع تاريخ جميع اللغات التي يمكن ملاحظتها لكي تصل الى تاريخ عائلات اللغات ويرجع بقدر الامكان الى اللغه الأم لكل عائلته .

(١) Saussure, F.D., Course in general linguistics, McGraw Hill Book C Company, trans. with an intro. by Baskin, W., 1960, P. 6 .

(٢) المرجع السابق ، نفس الموضوع

- ب) تحديد القوى التي تعمل وتؤثر دائما وبطريقة شاملة في كل اللغات ، من أجل أن يستنبط القوانين العامة التي يمكن أن ترد لها الظواهر التاريخية .
- ج) تخطيط وتحديد اللغات .

ولقد كان ظهور " محاضرات " دي سوسير في " علم اللغة " عام ١٩١٦ فاتحة عهد جديد في مضمار " العلوم اللسانية " (١) .

ولقد قام دي سوسير بتحديد موضوع " علم اللغة " بعد النظر الى شتى العوامل البيولوجية ، والفيزيائية ، والسيكولوجية ، والاجتماعية ، والتاريخية ، والجمالية ، والعملية التي تتداخل وتتشابك لتكون نسيج النشاط اللغوي لدى البشر . كما أقام دي سوسير تفرقة أولية هامة بين " اللغة " و " الكلام " على اعتبار أن " اللغة " - فهي ماهيتها - نظام اجتماعي مستقل عن الفرد في حين أن " الكلام " هو منها بمثابة التحقيق العيني الفردي (٢) . ويعتبر أن اللغة إن هي الا نظام أو بنية ، و " البنية " معناها الترابط المحكم القائم بين أجزاء اللغة الواحدة بحيث تنتظم كل اشكال هذه اللغة وصورها : سواء في تركيب الأصوات ، وتركيب الجمل . فلا يمكن مثلا دراسة لفظ في نظام معجمي الا بعد دراسة بنية اللغة التي ينتسب اليها هذا النظام المعجمي (٣) .

ولعل الجهد العلمي الهائل الذي قام به فرديناند دي سوسير من أجل تأسيس علم اللغة أو وضع دعائم نزع بنيوية لغوية هو ما حدا بالعالم اللغوي الأمريكي الشهير

(١) د - زكريا ابراهيم ، مشكلة البنية ، سلسلة مشكلات فلسفية (٨) ، مكتسة مصر ، ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٣) د - عبد الرحمن بدوي ، مدخل جديد إلى الفلسفة ، بيروت ، طبعة أولى ، ١٩٢٥ ، ص ٢٥٥ .

بلومفيلد Bloomfield الى القول بأن "دى سوسير كان أول من زود علم اللغسة البشرية بأسس نظرية سليمة" (١) . وقد اعترف له بالفضل الكبير ، وكذلك علماء لغويون متعددون نذكر من بينهم ياكوبسون ، وهلمسليف ، ومارتينيه ، وتشومسكى وغيرهم (٢) . وقد أجمع كل هؤلاء على القول بأن سوسير كان أول رائد للبنىوية الحديثة ، خصوصا وأنه كان أول من فطن الى أن اللغة نظام مخلق له قواعد الخاصة ، وانها بالتالى نسق مستقل يتخذ منه أفراد اللسان الواحد وسيلة للتواصل .

ويرى تشومسكى أنه عندما يتحدث الناس فإنهم يستخدمون قواعد اللغة دون أن يكونوا على وعى بذلك . أى أن معرفة الناس بقواعد اللغة تكون معرفة لاشعورية . ولذلك فسببان العمل الأماسى - فى رأى تشومسكى - لعالم اللغويات هو وصف قواعد اللغة التى يستخدمها الناس لاشعوريا (٣) . وهذه القواعد هي ماتمئل النحو العام للغة - فهناك معنيان للنحو فى اللغويات الحديثة .

الضمنى الأول وهو الخاص بالأفراء المتحدثين باللغة ولكن معرفتهم اللغوية لاشعورية ولايسكنهم التجذث عن قواعد تكوين الجمل . وبهذا المعنى يكون النحو تصور نفسى وعقلسى وهو مايفسر الطبيعة الابداعية Creative nature للغة .

أما المعنى الثانى فهو الخاص بعالم اللغة الذى يقوم بكتابة النحو الخاص باللغسة . وبهذا المعنى يكون النحو إن هو إلا وصف صورى واضح للغة .

وبذلك يتضح أن اللغويات هي من اختصاص علماء اللغة وليس للفلسفة دخلا بها .

(١) نقلا عن د. زكريا ابراهيم ، مشكلة البنية ، ص ٥٧ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الموضع .

(٣) Davis, S., Philosophy and Language, The Bobbs Merrill Company, Inc., 1976, p. 61.

٢ - فلسفة اللغة : Philosophy of Language

قبل أن نحدد مآلعيه بفلسفة اللغة علينا أن نحدد ما نصدقه بفلسفة العلم بمفهوم عامة . إن فلاسفة العلم لا يبحثون فيما يبحث فيه العلماء بل فيم ينتهي اليه العلماء . أي أن فلسفة العلم ليست ممارسة للعلم بل هي حديث فلسفي عن العلم أي أنها لا تقدم معارف علمية ، بل " تتفلسف حول تلك المعارف وحول المناهج التي توصلنا إليها " (١) .

فلسفة العلم هي كل ما يحلل العلم ولا يكون جزءاً منه ، فهي حديثاً عن العلم وتعليقاً عليه (٢)

ولقد ظهرت فلسفة العلم ، بصفة عامة ، نتيجة للمشاكل التي قابلت العلوم المختلفة فالهدف من فلسفة العلم - أيًا كان العلم - هو حل المتناقضات التي تعاقب العلماء في بحوثهم وتفسير تصورات علمية بعينها ، وحل المشاكل المنهجية . وإذا ما تناولنا فلسفة اللغة وجدناها - مثل فلسفة أي علم - حديثاً عن اللغة كعلم . وتبحث فلسفة علم اللغة في التصورات اللغوية وتتحقق من النظريات وتحاول حل المشاكل الخاصة باللغة من تم فإن فلسفة اللغة تعتبر فرعا من فروع فلسفة العلم مثلها مثل فلسفة العلوم الرياضية وفلسفة العلوم الطبيعية . الخ . إلا أن فلسفة اللغة تختلف - في رأينا - عن فلسفات العلوم الأخرى في أمر واحد . ذلك أنه على الرغم من قيام فلسفة لغة عامة تبحث في التصورات اللغوية العامة للغات ، أي يمكن تطبيقها على اللغات بصفة عامة ، إلا أنه إلى جانب ذلك يمكن أن نجد فلسفة لغة خاصة أي تختلف من لغة إلى أخرى . ذلك أن لكل لغة نظاما ما تخضع له ، ويرتبط هذا النظام بقول أصحاب اللغة وتفكيرهم إلى حد كبير ، ولكنه النظام الخاص الذي يختلف من لغة إلى أخرى ، ويتم في كل

(١) د. صلاح قصوم ، فلسفة العلم ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨١ ، ص ٢٥ .

(٢) د. زكي نجيب محمود ، المنطق الوضعي ، الجزء الثاني ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦١ ، ص ٣٧ .

بيئة بخصائص معينة ، تجعل لكل لغة استقلالها وتميزها عن اللغات الأخرى (١) .

تخضع كل لغة لنظام معين في ترتيب كلماتها ، ويلتزم هذا الترتيب في تكوين الجمل والعبارات ، فإذا اختلف هذا النظام في ناحية من نواحيه لم يحقق الكلام الغرض منه وهو الإقناع . وليست اللغة في حقيقة أمرها إلا نظاما من الكلمات التي ارتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا تحتمه قوانين معينة لكل لغة ، فحين يترجم أحدينا قطعة من الإنجليزية الى العربية أو بالعكس ، يجد نفسه مضطرا إلى التحوير أو التغيير في نظام جملة ، كأن يقدم كلمة ويؤخر أخرى ، وكأن يربط بين جملتين أو يفصل بينهما ونحو ذلك مما يألّفه كل من مارس الترجمة بين لغتين لا ينتميان إلى فصيلة واحدة (٢) .

وإذا كان هناك سمات مشتركة بين النظم اللغوية المختلفة ، إلا أن لكل منها خصائص مستقلة ، فبعض الارتباطات اللغوية موجودة مشتركة بين عدة لغات ، وبعضها الآخر تنفرد به لغة عن سائر اللغات ، أو مجموعة لغوية عن سائر المجاميع (٣) .

لذلك من الخطأ التحدث عن اللغة كما لو كانت لغة أفلاطونية مثالية تقترب منها اللغات النطقية بدرجات مختلفة . فاللغات كثيرة وهي مختلفة ومتغيرة كل عن الأخرى ليس فقط في الكلمات ولكن أيضا في التركيب أو البناء .

ويعد كتاب د . ابراهيم انيس " من أسرار اللغة " تعبيراً عن فلسفة خاصة باللغة العربية ، فنجده ذاكرة في المقدمة " انى أعترف هنا أن ما كان يبدو لى فى صورة مماثل

(١) د . ابراهيم انيس ، من أسرار اللغة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٢٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ١٢٨ .

(٢) العرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

(٣) د . عبد الرحمن بدوى ، مدخل جديد الى الفلسفة ، ص ٢٥٥ .

لغوية قد أصبح الآن يتمثل لى فى صورة مشاكل لغوية لاتزال بحاجة الى مزيد من الدراسة والتحقيق ، ... وقد حاولت فى هذا الكتاب علاج تلك المشاكل اللغوية علاجاً علمياً حديثاً بعيداً عن الجدل العقيم ، ومؤسراً على أحدث النظريات التى اهتدى اليها المحدثون فى الدراسات اللغوية" (١) .

وقد تناول فى مؤلفه هذا وسائل نمو اللغة فى ألفاظها وأساليبها ووسائل هذا النمو الذى جعل من لغتنا العربية أغزر اللغات السامية مادة ، وأكثرها تنوعاً فى الأساليب .

وإذا لم تقتصر فلسفة اللغة على لغة بعينها واتسمت بانها بحثاً فى اللغات بمفحة عامة ، فإن أهم ما تبحت فيه هو خصائص الأوصاف اللغوية للغات الطبيعية . وماتسم به الأوصاف اللغوية أنها عامة اما لأنها تمثل خاصية عامة للغات الطبيعية أو باعتبارها نتيجة للأهداف العلمية ومناهج البحث فى اللغويات (٢) .

وتمثل ثلاثة أنماط من التناؤلات دوراً أساسياً فى المناقشات الحديثة فى النظرية اللغوية . التناؤل الأول إن هو إلا تساؤل عن الموضوعات الخارجية للوصف اللغوى . وللإجابة عن هذا التناؤل ، يجب أن تقدم النظرية اللغوية تقريراً دقيقاً عن الظواهر التى تفسرها النظرية فى الفونولوجيا Phonology (دراسة تاريخ التغيرات الصوتية فى تطور لغة ما) وفى دراسة البنية والمعانى (٣) .

(١) د. ابراهيم انيس ، من أسرار اللغة ، ص ٤ .

(٢) Katz, G.G., & Fodor, G.A., The Structure of Language, Prentice Hall, Inc., 1964, p. 19.

(٣) المرجع السابق ، نفس الموضوع .

والتساؤل الثاني إن هو إلا تساؤل عن أنماط القواعد التي تستخدمها الأومساق اللغوية ، ويهدف هذا التساؤل إلى اظهار السمة الصورية لبناء الوصف اللغوي وتقديم تقرير عام عن طبيعة التفسير في اللغويات .

أما التساؤل الثالث فهو تساؤل عن الاطار المنهجي الذي يتقدم من خلاله بناء الوصف اللغوي ، فيشتمل على تحديد لأنواع الأساليب التي يستخدمها عالم اللغة في الوصول إلى وصفه (١) .

وتعتبر نظرية المعنى Semantic Theory من أهم وأحدث نظريات فلسفة اللغة . وترى كمبسون Kempson أنه على نظرية المعنى أن تحقق الشروط الآتية (٢) :

- أ - يجب أن توضح معنى الكلمة ومعنى الجملة وتشرح طبيعة العلاقة بينهما .
- ب - توضح أسباب الإبهام أو الغموض في أشكال اللغة سواء كانت كلمات أم جمل .
- ج - تميز وتفسر العلاقات النحوية بين الكلمات وبين الجمل أي تقدم تقريرا واضحا عن علاقات الترادف ، التضمن ، اللزوم ، التناقض .

وإذا كان علماء اللغة قد تناولوا نظرية المعنى فاننا نجد أن الفلاسفة قد تناولوها أيضا ولكن من منظور مختلف . فعلماء اللغة قد تناولوا نظرية المعنى باعتبارها تمثل قسما من النظرية اللغوية العامة . بينما تناول الفلاسفة نظرية المعنى باعتبار أن تصور " المعنى " من التصورات الهامة المستخدمة في الفلسفة . وهناك من يعتبر أن تناول الفلاسفة لنظرية

(١) المرجع السابق ، نفس الموقع .

(٢) Kempson, R.M., Semantic Theory, Cambridge University press, 1977, p.4.

المعنى وتحليل ما تتضمنه من تصورات مثل " المعنى " ، " الدلالة " ، " الصدق " ، " الموضوع " و " المحمول " إن هو إلا فلسفة لغة ^(١) . ولكننا نرى أن قيام الفلاسفة بتحليل هذه التصورات ليس " فلسفة للغة " إنما هو " فلسفة للفلسفة " . حيث أن هذه التصورات وإن كانت تصورات لغوية إلا إنها تصورات فلسفية ، وإهتمام الفلاسفة بها إنما يكون من أجل ما يمكن تقديمه للفلسفة . وإذا كان الفلاسفة يهتمون ببعض جوانب اللغة فإنما يهتمون من وراء ذلك تقديم الحلول للمشاكل الفلسفية .

وقد يبحث علماء اللغة في نفس التصورات التي يبحث فيها الفلاسفة ، إلا أنهم يبحثون فيها أساساً من أجل حل مشاكل اللغة وليس من أجل حل مشاكل الفلسفة . ومع ذلك يرى علماء اللغة أن الموضوعات التي تناولها الفلاسفة داخل إطار نظرية المعنى مثل " الصدق " ، " اللزوم " إن هي إلا موضوعات ضرورية للنظرية اللغوية ^(٢) . بل ويقول علماء اللغة أن أهم المحاولات لتوضيح بناء اللغة هي تلك المحاولات التي قام بها المناطقة وليس اللغويون . ونجدهم يهتمون بتوضيح كيفية تطبيق التحليل المنطقي على اللغات الطبيعية ، وكذا إظهار العلاقة بين التحليل المنطقي والتحليل اللغوي ، وبين المنطق واللغة الطبيعية ^(٣) .

ويذكر كل من أولود Allwood وأندرسون Andersson ودال Dahl : " إننا نريد أن نصل الفجوة بين اللغويات والمنطق ونشجع التعاون بين المناطقة واللغويين في دراستهم المشتركة لبنية اللغة " ^(٤) . وتعتبر كميسون Kempson أن نظرية المعنى هي المعبر بين الفلسفة واللغويات ^(٥) .

(١) Cooper, D.E., Philosophy and the Nature of Language, Longman, 1973, p.3 .

(٢) Kempson, Semantic Theory, Preface, p. IX

(٣) Allwood, G. & Andersson, L. & Dahl, O., Logic in Linguistics, Cambridge Univ. Press, 1979, p.1 .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢ .

(٥) Kempson, Semantic Theory, Preface, p. IX

وبذلك نرى أن هناك اهتمام من جانب علماء اللغة بالدراسات المنطقية والفلسفية المعاصرة للغة، وأنه ليتمكن القول أن فلسفة اللغة يمكن أن تكون ملتقى الباحثين من علماء اللغة والفلسفة بل أن التعاون بينها سيؤدي إلى نتائج مثمرة لكل من اللغة والفلسفة.

٣. الفلسفة اللغوية : Linguistic Philosophy

تختلف الفلسفة اللغوية اختلافاً بيناً عن فلسفة اللغة - فكما سبق وأوضحنا يدرر الاهتمام في فلسفة اللغة بصفة أساسية حول اللغة كعلم، بينما يدرر الاهتمام في الفلسفة اللغوية حول المشاكل الفلسفية باعتبارها مشاكل ناتجة عن اللغة.

ومن الممكن تقسيم اهتمام الفلاسفة باللغة إلى قسمين: القسم الأول يرى أصحابه أن الفلسفة إن هي إلا تحليل لغوي. وعادة ما يطلق على أعمال هؤلاء الفلاسفة "الفلسفة التحليلية" Analytical Philosophy ويطلق عليها أيضاً "فلسفة لغوية" يُسمون أن المشاكل الفلسفية إن هي إلا مشاكل لغوية. ولكنها مشاكل لغوية تختلف عن تلك المشاكل الخاصة بعلوم اللغة من نحو وعلم بلاغة وعلم صوتيات... الخ^(١) فالمشاكل اللغوية التي يهتم بها الفلاسفة هي مشاكل خاصة بسنن وظائف التسميات^(٢).

والقسم الثاني يبحث أصحابه في التصورات التي يستخدمها الفلاسفة دون التوقف عندها لشرحها أو لبيان أصولها؛ ومن أهم الأمثلة على ذلك البحث في نظرية المعنى. وهذا القسم هو ما يمكن أن نطلق عليه "فلسفة الفلسفة" كما سبق وذكرنا، لأنه إذا كانت فلسفة العلم تبحث في التصورات التي يستخدمها العلماء دون أن يتوقفوا عندها لتحليلها وكذلك توضيح ما يقصدونه بها، فكذلك الأمر بالنسبة "لفلسفة الفلسفة" فإنها تقوم ببحث وتحليل التسميات المستخدمة من قبل الفلاسفة.

(١) Ryle, G., The Theory of Meaning, From: The Importance of Language, ed. by Black, M., Cornell Univ. Press, 1969, p.168

(٢) المرجع السابق، نفس الموقع.

وينتقم أصحاب الفلسفة اللغوية في محاولتهم لحل المشاكل اللغوية الى فريقين. يرى الفريق الأول أن المشاكل الفلسفية ناتجة عن عدم ملائمة اللغة الجارية للأهداف الفلسفية نتيجة لنموضها وعدم دقتها. لذلك من الضروري تكوين لغات رمزية تتلافى فيها عيوب اللغة الجارية. بينما يرى الفريق الثاني أن "اللغة الجارية" - أي لغة الحديث اليومية - ملائمة للأهداف الفلسفية وأن الخطأ يكمن في الانحراف عنها.

لقد فشل الفريق الأول البحث في اللغات المتكونة أو الرمزية لعدم دقة اللغات الطبيعية، ولتميز اللغة الرمزية بعدمه الفموض والدقة والايجاز. ويعد كارناب من أهم ممثلي هذا الفريق، ورأى أنه من الضروري تكوين لغة أصطناعية تتلافى فيها عيوب اللغة المعتادة. ولقد قدم كارناب العديد من الأساق الرمزية التي يمكن استخدامها في التحليلات المنطقية.

أما الفريق الثاني الذي فشل البحث في اللغات الطبيعية يمثلها فلاسفة أكسفورد. ويعد رايل Ryle من أهم الفلاسفة الذين بحثوا في اللغات الطبيعية. وهو يرى أن الكثير من التصيرات، رغم كونها مفهومة بوضوح تام من قبل من يستخدمها ويسمعونها أو يقرأونها، فانها تكون مختبئة في صور نحوية أو تركيبية غير صحيحة بالنسبة لما تسجله من حالات الواقع ولذا يجب إعادة صياغة مثل هذه التصيرات الى تعبيرات أخرى ذات صورة تركيبية صحيحة لما تسجله من وقائع (١). ويتناول رايل الكليات "Universals" بالتحليل، موضحاً أن الحدود الكلية ليست أسماء. موضوعات للصفات لأن "الكليات" ليست أشياء. ولذلك فان التساؤل القديم عن أي نوع من الأشياء تكون الكليات هو تساؤل زائف ومعتنع. فالأسماء والصفات الكلية ليست أسماء. أعلام، ومن ثم لا يمكن التحدث عن الأسماء الكلية مثل "المساواة" أو "العدالة" باعتبارها أشياء. (٢).

ويؤكد رايل أن الفلسفة يجب أن تتضمن القيام بإعادة صياغة التقريرات، ولكن هذا لايعنى

(١) Ryle, G., Systematically Misleading Expressions, From: Essays on Logic and Language, ed. by: Flew, A., Oxford, 1951 F.P. 13, 14.

(٢) المرجع السابق / ص ٢١. ويلاحظ أننا تناولنا تحليلات كل من كارناب ورايسل بالتفصيل في رسالتنا للدكتوراه "فلسفة التحليل عند رودلف كارناب" جامعة عين شمس ١٩٨٠ (غير منشورة).

أنها جزء أو قسم من علم اللغنة أو النقد الأدبي (١).

وعلى ذلك فإن فلاسفة التحليل اللغوي يرون أن العلاقة بين اللغة الجارية والفلسفة تقوم على مايلي :

- (أ) كثير من القضايا أو العبارات الفلسفية تخالف اللغة الجارية بمعنى أنها تستخدمها بطريقة غير صحيحة.
- (ب) أن العبارات الفلسفية تكون مغللة وإذا ما تم مياغتها بطريقة صحيحة يتضح عدم أهميتها.
- (ج) العبارة الفلسفية التي تخالف اللغة الجارية تكون عبارة زائفة.

كما يرى هوبل الفلاسفة أن الخطأ في العبارات الأميركية يمكن أن ينتج عن أحد سببين هما (٢) :

- (أ) قد يكون الخطأ في العبارة الأميركية ناتجا عن خطأ في فهم الوقائع الأميركية نفسها.
- (ب) قد تكون المعرفة بالوقائع الأميركية معرفة صحيحة وسليمة لكن الخطأ يرجع إلى استخدام لغة خاطئة في وصف الوقائع.

ويطلق على السبب الأول "خطأ خاص بالوقائع"، بينما يطلق على السبب الثاني "استخدام لغة خاطئة".

ومن ثم فإن أصحاب الفلسفة اللغوية يقومون بالتحليل للعبارات الفلسفية من أجل حل المشاكل الفلسفية.

أما إذا كان الاهتمام بالبحث يدور حول التحولات التي يستخدمها الفلاسفة من أجل تفسيرها وبيان أصولها فإن هذا ما يمكن أن نطلق عليه "فلسفة الفلسفة" كما سبق وذكرنا .

وتعتبر نظرية المعنى من أهم النظريات التي تبحث فيها "فلسفة الفلسفة" . فرغم أن الفلاسفة يهتمون بما تعنيه تعبيرات معينة أو بمعرفة معاني تعبيرات بعينها، إلا أنهم

(١) المرجع السابق، ص ٢٦

(٢) Malcom, N., Moore and Ordinary Language, From: The Linguistic Turn, p. 117

لا يتوقفون عند الأسئلة المجردة عن المعنى مثل " ما الذى يجب أن يكون عليه التغيير حتى يكون تعبيراً له معنى أو ما هو معنى المعنى؟" وعلى مثل هذه التساؤلات تجيب نظريات المعنى.

والحقيقة أننا لا يمكن أن نعتبر " فلسفة الفلسفة" فرعاً من فروع "فلسفة العلم" ولا أن نعتبرها جزءاً من "فلسفة اللغة" فلا يمكن أن نعتبرها فرعاً من فلسفة العلم لأن الفلسفة لا تعد علماً من العلوم لأن لها منهجها الذى يختلف عن المنهج العلمى. كما لا يمكن اعتبارها قسماً من فلسفة اللغة " لأنها لا تبحث فيما ينتهى اليه علماء اللغة بل فيما ينتهى اليه الفلاسفة.

خاتمة :

ومما سبق يمكن أن نوضح مايلسى :

أولاً : اهتمام الفلسفة باللغة قديم قدم الفلسفة ذاتها ومتشعب فى فروعها من ميتافيزيقيا ومنطق ونظرية معرفة.

ثانياً : يهتم الفلاسفة باللغة باعتبارها الأداة الوحيدة للتعبير عن نظرياتهم .

ثالثاً : أتضح أن " اللغويات " هى مصطلح يطلق على البحث فى جميع فوالم الحديث الإنسانى وأهم ما يقسم به البحث فى اللغويات هو وصف قواعد اللغة التى يستخدمها الناس لا شعورياً - وهذه القواعد هى ما تمثل النحو العام.

رابعاً : أوضحتنا كذلك أن " فلسفة اللغة " هى أحد فروع فلسفة العلم على اعتبار أن فلسفة العلم هى كل ما يقال عن العلم وكذلك " فلسفة اللغة" هى ما يقال عن اللغة باعتبارها علماً .

خامساً : أوضحتنا الصلة التى يمكن أن تكون بين " فلسفة اللغة " و " فلسفة الفلسفة" على اعتبار أن كليهما يتناول تصورات مشتركة وان كان تناولها لأهداف مختلفة .

وبهذا أن "فلسفة الفلسفة" لاتعد فرعاً " لفلسفة العلم" كما أنها ليست جزءاً من

" فلسفة اللغة".

سادسا : يطلق مصطلح " الفلسفة اللغوية " على أعمال الفلاسفة الذين يعتبرون أن الفلسفة ان هي الا تحليل لسنوى.

أهم مراجع البحث :

أولا : المراجع العربية:

- ١- ده إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، الطبعة الخامسة ، مكتبة الأنجلو، ١٩٢٥.
- ٢- د زكريا إبراهيم ، مشكلة البنية ، سلسلة مشكلات فلسفية ٨١ ، مكتبة مصر
- ٣- د زكى نجيب محمود، المنطق الوصفى، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة ، ١٩٦١
- ٤- د عبد الرحمن بدوي ، مدخل جديد الى الفلسفة ، بيروت، طبعة أولى، ١٩٢٥
- ٥- د صلاح قنصوه، فلسفة العلم، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٨١
- ٦- د محمد مهران، مدخل الى المنطق الصوري، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٢٥
- ٧- د نازلى اسماعيل، المنطق الصوري، المركز العلمى للتصوير ، ١٩٨٠
- ٨- أبو حيان التوحيدى : المقامات ، تحقيق السندوبى ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٢٩ .

ثانيا : المراجع الأنجليزية:

- 1-Alston, W.P., Philosophy of Language, Prentice Hall, Inc., 1964
- 2-Allwood, J. & Andersson, L. & Dahl, O., Logic in Linguistics, Cambridge Univ. Press, 1979.
- 3-Ayer, A., Philosophy and Language, Oxford, 1960.
- 4-Carnap, R., Philosophy of Logical syntax. From the Age of Analysis, edd by White, M., New York, 1957
- 5-Cooper, D.E., Philosophy and the Nature of Language, Longman, 1973.
- 6-Davis, S., Philosophy and Language, The Bobbs Mervil Company Inc., 1976
- 7-Katz, J.J., & Fodor, J.A., The Structure of Language, Prentice Hall Inc., 1964.
- 8-Kempson, R.M., Semantic Theory, Cambridge University Press, 1977
- 9-Malcom, N., Moore and Ordinary languages From: The Linguistic Turn, edd. by Morty, R., The Univ. of Chicago Press, 1967
- 10-Mill, J.S., A System of Logic, Ratiocinative and Inductive; Longmans, 1959
- 11-Ryle, G., Systematically Misleading Expressions, From: Essays on Logic and Language, edd., F. Lew, A., Oxford, 1951
- 12-Ryle, G., The Theory of Meaning, From: The Importance of Language, edd. by Black, M., Cornell University Press, 1969.
- 13-Saussure, F.D., Course in general Linguistics, trans. by Baskin, W., McGraw Hill Book Company, 1960